المشرق

رسول الهند واليابان

بنسبة المئة الرابعة لمولد القديس فرنسيس كسفاريوس

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

« اذهبوا وتلمذوا كلّ الامم . . وعلّموهم جميع ما اوصيتكم بهِ فها انا معكم كلّ الايام الى منتهى الدهر » تلك آخر كلمة وجّهها السيّد المسيح الى تلاميذهِ قبل ان يفارقهم يوم صعودهِ الى السماء ليعود الى ابيهِ . كلمة جديدة لم يسبقهُ اليها احد من الانبياء . كلمة قدرة احدثت عالماً روحياً كما احدثت كلمة « كن » عالماً هيولياً . بل كلمة كانت ادلّ على لاهوت المسيح من كلمة التكوين لأن بهذه خرج الخلق من عدم الكون وبتلك أبدعت من عدم الاثم والشرك « كنيسة الاله الحيّ عمود الحقّ وقاعدتهُ » (١ تيم ٣ : ١٣) التي « احبّها وبذل نفسهُ لاجلها ليقدّسها مطهّراً اياها بغسل الماء وكلمةِ الحياة ليهديها لنفسهِ كنيسة مجيدة لا كلف فيها ولا غضن بل تكون مقدّسة منزّهة من كلّ عيب » (افس ٥ : ٢٥—٢٧)

وقد حلّت كلمة الربّ في قلب رسلهِ كما يحلّ البذر الجيّد في التربة الطيّبة فاتى بالستين والمئة . وكلّ يعلم ما صنعهُ تلاميذ المسيح من الآيات والمعجزات فطافوا البلاد عرضاً وطولاً « لم يبقَ لسان لم يُسمع فيهِ صوتهم وفي الارض كلّها ذاع منطقهم وفي اقاصي المسكونة كلامهم » حتّى امكن بولس الرسول ان يكتب في رسالتهِ الى اهل رومية (١ : ٧) انّ ايمانهم (وهو ايمان بطرس الهامة) يبشّر بهِ في العالم كلهِ

هذا ولم تمتْ الكلمة بموت رسل المسيح بل بقيت بعدهم بقوّتها اذ لم يحصرها

الرب في الرسل بل اطلقها على تبعتهم ايضاً « الى منتهى الدهر ». فقام بعد الحواريين رجال عظام تشربوا روحهم واقتفوا آثارهم جيلاً بعد جيل وفتحوا للانجيل ابواباً لم تبلغ اليهـا يد اسلافهم وقد تجاوزوا الحدود التي انتهت اليها ممالك جبابرة الارض كالاسكندر والقياصرة. ولو اردنا سرد اسماء الشعوب التي دعوها الى دين المسيح لعجز عن تعداد اسمائها قلمنا وضاقت عن حصرها صفحات مجلتنا

ولم يزل نطاق الرسالات الكاثوليكيَّة في اتساع لا سيَّما بعـد ظهور الجمعيَّات الرهبانيَّة من كملتان وفرنسيسيين ودومنيكان فكان ابناؤها يتسارعون الى الرسالات الاجنبيَّة بين الوثنيين واهـل البدع وتواريخهم مشحونة باعمالهم الاثيلة ومشروعاتهم الجليلة في كلّ انحاء العمور

على انَّ هذه المساعي الشريفة بلغت غايتها القصوى عنـد نشوء الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي جعلت دعوة الشعوب الى المسيح في مقدَّمة فرائضها فأتى انجالها باثمار الخلاص ما ابهج قلوب الصالحين باغناء اولاد الكنيسة وتوفير اهراء الآب السماويّ. لكنَّهُ لم يقم بين اولاد اغناطيوس من مثَّل في نفسهِ أعمال الرسالة الكاثوليكيَّة كالقديس فرنسيس كسفاريوس الذي لا يزال اسمهُ كرادفٍ للغيرة الملتهبة في نشر ملكوت الله بين الامم القاصية. ومنذ اتخذتهُ الكنيسة شفيعاً للرسالات الاجنبيَّة قد زاد اكرامهُ وشاع فضلهُ فيقام لهُ كلّ عام اعياد حافلة يُقبل عليها الجموع بشوقٍ عظيم ويستمون من هذا الينبوع الحيّ روح الغيرة والتفاني في خلاص القريب

وقد احبّ رجال الدين ان يزيدوا حفلات هذا العام رونقاً وزهواً لانهُ يوافق المئة الرابعـة لمولد ذلك البطل الصنديد الذي قام في هذه القرون الاخيرة كفرَّة في جبهة العصر وكتاج على مفرق الدهر. فأَجدر بنا ان نشارك اخوتنا بأفراحهم ونهدي لمقـام القديس عربون شكر اهل الشرق الذين نالوا من فضلهِ ما لم ينلهُ الغربيُّون كما ستري

*

لاح هذا الكوكب المنير على افق عالمنا في ٧ نيسان من السنة ١٥٠٦ فتهلَّلت اسرة عريقـة بالفضل من اشراف بلاد ناڤارَّة المتاخمة لفرنسة فما لبث منذ نعومة الاظفار ان أسر القلوب بمحبتهِ لما طُبع عليهِ من كرم الاخلاق وحمود الشمائل وغزارة الفهم وذكاء القلب. فلمَّا ترعرع انكبَّ على العـلوم انكباب من لا يرضى الَّا بفكّ اسرارها

واستكشاف كلّ خباياها فلم يجد مدرسةً تروي غليلهُ كمدرسة باريس الكليَّة سيّدة العالم في ذلك الوقت غيرَ مدافعة. فما كاد يجلس في عداد طالبيها حتَّى اقرَّ لهُ الاقران بالسبق وبقي على ذلك الى ان انتهت اليهِ رئاسة تدريس الفلسفة فيها واحرز لهُ بين اساتذتها فخرًا اصابهُ قبل الثلاثين من سنهِ لم يُصبهُ شيوخ تلك المدرسة الشهيرة ومعلّموها البارعون

وكان فرنسيس مولعًا بالشرف الزمني تخلب قلبهُ بهرجة العالم وزخارفها الباطلة اذ ارسل الله اليهِ عبدهُ اغناطيوس دي لويولا الذي بعد ان دافع عن حصن مدينة پمپلونة بصفة قائد شجعتها وكُسرت ساقهُ في الحرب عرف بُطلان الامور الساقطة وزهد بحطام العالم وكان قصد باريس للتعلُّم وغايتهُ ان يستعدَّ بذلك لفلاحة كرم الربّ في بلاد الشرق. وهناك تتلمذ لفرنسيس فتوسَّم فيهِ شمايل المروءة وعلوّ الهمَّة وعلم انهُ لو تجنَّد لله لكان في مصفّ ابطالهِ مبرّزًا مقدامًا فاختار من الانجيل الطاهر آيةً جعلها كتبل في قلبهِ فكان يكرّر على مسامعهِ قولهُ تعالى: «ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كلهُ وخسر نفسهُ». فكانت تلك الكلمة كما يقول الرسول (عب ٤: ١٢) «امضى من كلّ سيف ذي حدَّين نفذت حتى مفرق روحهِ فميَّزت لافكار قلبهِ ونيَّاتهِ». فما مرَّ على فرنسيس زمن طويل حتَّى اذعن لصوت الله وصرخ كبولس على طريق دمشق: «ماذا تشاء يا ربّ ان أفعل»

انضوى كسفاريوس تحت راية دي لويولا واستسلم لهُ منقادًا فما عتم ان خرج من بين يديهِ كانسان جديد بعد ان اختبر في نفسهِ مفعول رياضاتهِ الروحيَّة التي قال عنها احد كبار القديسين انَّها ردَّت الى الصلاح عددًا من الشاردين فوق عدد حروفها

ومذ ذاك الحين جرى كسفاريوس في طريق الفضيلة والقداسة تجزي النفوس العظيمة منقطعًا لكل اعمال البرّ من صلاة وصوم وتقشفات وتعليم الجهَّال وزيارة الحبساء وعيادة المرضى وكان اوَّل مريض عاينهُ ممنوًا بجراح منتنة يشمئزّ منها الناظر وتنبو عنها الحواسّ فألقى بنفسهِ عليهِ وقبَّل جروحاتهِ وانتصر على ما كان يشعر بهِ من الكراهية والنفور

وليس من شأننا ان نتعقَّب آثار فرنسيس في البندقيَّة حيث قبل نعمة الكهنوت ولا في غيرها من مدن ايطالية وقد اخلف حيثما مرَّ آثارًا باقيةً من سموّ قداستهِ وكفانا

القول بانَّ الله قد اختارهُ بعنايتهِ ليكون منصّرًا لممالك جديدة لم يبلغها بعد اسم المسيح وكان ذلك بايعاز الحبر الاعظم بولس الثالث وملك البرتغال يوحنَّا الثالث

ابحر فرنسيس كسفاريوس من لشبونة سنة ١٥٤١ وعمرهُ اذ ذاك ٣٥ سنة فتجشَّم اوَّل اسفارهِ المتعدّدة التي لو قيست متواصلةً لوافقت طول مساحة كرتنا ثلاث مرَّات بتفاوت. وكلّ يعلم ما كانت اسفار ذلك العهد تكلّف اصحابها من المشقَّات والشدائد. وحسبك ان تعرف انَّ السفينة التي ركبها فرنسيس لم تبلغ الهند الَّا في الشهر الثالث عشر لسفرها من لشبونة. وقد قضى فرنسيس هذه المدَّة في خدمة التعساء الرجل الذين كانوا معهُ في المركب فيعظهم ويخدمهم ويمرّض مرضاهم في الادواء الشديدة التي أصيبوا بها ويعدّهم لميتة صالحة حتى كانوا يحسبونهُ كملاك منظور ولا يشيرون اليهِ الَّا باسم القديس

ما وطئ فرنسيس ارض الهند حتى رأى ما كانت عليهِ تلك البلاد العظيمة من الجهل وظلمة الوثنيَّة وما نتج عن ذلك من الفساد في الآداب ومن انتشار كلّ الآثام بين السكَّان ولولا ثقتهُ بالله عزَّ وجلّ الذي يمكنهُ ان يقيم من الحجارة اولادًا لابراهيم لأيس من خلاص هؤلاء الضالّين وهو رجل فرد ليس لديهِ وسيلة بشريَّة للقيام بمثل عمل كهذا. لكنَّهُ اعتصم بحبل الله واثقًا بقوَّتهِ تعالى الذي « اختار الضعيف من العالم ليخزي القويّ ». وباشر اوَّلًا بمدينة غوا ولم يزل يجدّ ويكدّ في اصلاح اهلها النصارى حتَّى غيَّر وجه البلد بعد اشهر قليلة ثمَّ صرف عنايتهُ الى الوثنيين فردّ منهم كثيرين حتى انَّ استف المدينة صرخ قائلًا: « حقًّا انَّ اعمال فرنسيس لأعجوبة من يمين العلي »

ولمَّا اتاهُ المدد من اوربَّة وجاءهُ اخوان من رهبانيَّتهِ لمساعدتهِ وكل اليهم خدمة اهل غوا وسار الى الجنوب الى ناحية رأس قمرين فتنقَّل في قراها المتعدّدة ودعا اهلها النصارى الى التوبة والمشركين الى التنصُّر وكانوا صيَّادين يرتزقون بصيد الاسماك او بالتقاط اللآلئ النامية عند سواحلهم يغوصون الى قاع البحر فيستخرجونها من مواطنها. فكان لكلامهِ بينهم احسن وقع لاسيَّما اذ عاينوا سيرة الرسول الجديد وشظف عيشهِ وقداسة حياتهِ والمعجزات التي كانت تجري على يدهِ تاييدًا لتعاليمهِ. فكانوا يتقاطرون اليهِ من كلّ فجّ ليسمعوا عظاتهِ ثم ينبذون اضاليلهم ويتوبون من خطاياهم ويطلبون العماد فنصّر منهم الوفًا حتى ان يدهُ كثيرًا ما كانت تكلّ في آخر نهارهِ لوفرة المصبوغين

بمياه المعموديَّة . وبقي الايمان في تلك السواحل ثابتاً في قلوب الاهلين وبلغ بهم ثباتهم الى ان اهرقوا دماءهم في سبيلهِ . ثمَّ عاد فرنسيس الى غوا وانشأ مدرسة اكليريكيَّة ليُعدَّ فيها عمَلةٌ لكرم الربّ . فجاء ذلك المشروع بثمار لا يفي بها احصاء . وبقيت المدرسة زاهيةً عامرة نيفاً ومائتي سنة خرج منها كهنة ومرسلون مشوا على آثار منشئها

ولمَّا انتهى كسفاريوس من هذا العمل الجليل قصد مملكة ترافنكور فنال من ملكها الرخصة بنشر الانجيل في جهاتها فجدَّد هناك العجائب التي اصطنعها في رأس قورين وبنى اربعين كنيسة في مدنها وقراها ونصَّر من الوثنيين العدد العديد حتى انَّهُ في شهر واحد عمَّد بيدهِ عشرة آلاف منهم

وكانت اخبار كسفاريوس ومعجزاتهِ تنتشر الى اقاصي الهند والى جزائر البحار المجاورة فكانت الوفود تأتيهِ من ملوكها وامرائها يتوسَّلون اليهِ بان يذهب الى بلادهم فيعلّمهم طريق السماء فكان يلبّي دعوتهم على قدر استطاعتهِ او يرسل اليهم احداً من اصحابهِ فهكذا تنصَّر اهل جزيرة منار وغيرها

وخرج فرنسيس الى مليابور فزار كنيسة القديس توما الرسول حيث مات شهيداً في بدء النصرانيَّة فنال بشفاعة تلميذ المسيح قوَّة جديدة للتبشير ثم سار الى اقليم ملقة وجال في كلّ اقطارها حتى ازدهرت بالايمان ودانت بالنصرانيَّة جموع غفيرة

ثم ابحر الى جزائر الهند فنصَّر اكثر سكَّان جزيرة امبوانة ثم دخل جزيرة أولات بعد أن انقذ ملكها واهلها من اعدائهم . ثم تفقَّد جزائر الملوك وترنات وتيدور وتيمور ومقصر وغيرها كثيرة وكان يلقنها جميعها صيت القديس واخبار حياتهِ الالهيَّة فما كان احد الَّا يُسرع للاستنابة على يدهِ او يطلب منهُ نعمة التنصُّر

وزادت شهرة القديس بدخولهِ الى جزائر تُدعى جزائر المور كان اهلها همجاً يقتتلون بلحوم البشر لم يجسر احد ان يقترب من بلادهم فالهمهُ الله ان يزورهم ويرشدهم ولم يردّهُ عن قصدهِ هذا اصحابهُ الذين سعوا بترهيبهِ وتخويفهِ لكثرة ما في تلك الجزائر من الخاطر . فالقى مقاليد امرهِ عليهِ تعالى وتجوَّل في كلّ اقسامها وبقي هناك ثلاثة اشهر كانت أيام خلاص ونعمة لسكَّانها فانقادوا الى الدين القويم وصاروا قدوةً لغيرهم

وكلّ هذه المآثر وغيرها كثيرة قام بها وليُّ الله بخمس سنوات فقط وكان الكلّ يتعجَّبون كيف يمكن رجلاً واحداً ان يأتي بمثل تلك الاعمال . ثمَّ عاد فرنسيس الى ملقة

فعوا فزار المتنصرين وضمَّ اليهم من طلبـوا العماد وكرَّ راجعاً الى رأس قرين فتفقَّد الذين ارجعهم الى النصرانيَّة وزار ناحية ملبـار ومادورة وجزيرة سرنديب (سيلان) فلقي حيثما حلَّ حصاداً وافراً من النفوس ضمَّ أكداسهُ الى اهراء الكنيسة

وفي تلك الاثناء جاء غوا رجل من اهل اليابان يدعى انجه يطلب لنفسهِ سلوة من آثام اقترفها في شبيبتهِ اذاقتهُ الامرَّين فلمَّا سمع بكسفاريوس قصدهُ ليعرض عليهِ شؤونهُ فنال بواسطتهِ ما أمَّلهُ من التعزية وراحة القلب بعـد ان تاب الى الله وقبل المعموديَّة. ثم اتَّقد قلبهُ غيرةً لخلاص وطنهِ اليابان فطلب من فرنسيس ان يرافقهُ الى بلادهِ لعلَّهُ ينجي اهلهـا من اشراك الوثنيَّة ويلقِّنهم تعاليم الدين المسيحيّ. فرأى كسفاريوس انَّ الامر ذو بال فاستحرَّ بالصلاة وطلب من الله ان يرشدهُ الى اتمـام مشيئتهِ فتحقَّق انَّهُ عزَّ وجلَّ يدعوهُ الى اليابان

وبعد ان دبَّر كسفاريوس كلَّ امور الرسالة ووزَّع اخوتهُ الرهبان في اقطار الهند لرعاية المتنصِّرين وفتح ايضاً رسالات جديدة في امكنة اخرى ودَّع اخوتهُ وركب تلك البحار الطامية المخوفة بالمخاطر في نيسان سنة ١٥٤٩ مع راهبين آخرين

وصلت سفينتهُ الى مرفأ كاغوكسيما في جنوبي كيوسيو في ٢٠ آب من السنة بعد سفر اربعة اشهر ونصف قضاها الرسول بتعلُّم اللغة اليابانيَّة ثم نقل اليها كتاب التعليم المسيحيّ واستظهرهُ بتمامهِ. فما استقرَّت قدم الرسلين في اليـابان حتَّى باشر فرنسيس بالعمل ونزل ضيفاً في بيت «انجه» الذي نصَّرهُ في الهند فسعى بتعليم اهلهِ واكتسبهم الى الدين المسيحيّ بعد أن بيَّن لهم غيَّهم في عبادة الاصنام ثمَّ توصَّل الى ملك تلك الجهة ونال منهُ ان يبشِّر في بلادهِ النصرانيَّة. فأتت مساعيهِ بنتائج صالحة لولا مقاومة كهنة الاصنام الذين خافوا على دينهم وتمكَّنوا من ابعادهِ من بلادهم

فسار القديس الى مملكة فيرندو واستمال اليهِ قلب صاحبها ثمَّ توغَّل في البلاد فدخل مملكة أمنغوشي وبلغ الى عاصمة اليابان مياكو حيث كان تخت الميكادو وهو كبير ملوك اليابان ثمَّ كرَّ راجعاً الى فيراندو وامنغوشي ووفد على ملك بنغو فكان في كلّ هذه الامكنة يبشر بالانجيل وهو لا يبالي بما يتالهُ فيهـا من الاهانات واصناف الشدائد فامكنهُ ان يردِّد قول بولس الرسول معدِّداً محنهُ وبلاياهُ (٢ كور ١١: ٢٢—٢٧): «كنتُ في التعب والكدّ والاسهار والجوع والعطش والاصوام والبرد والعُري».

لكنَّ هذه البلايا اتت باثمارها الغزيرة على مثال حبَّة الحنطة التي لا تنمو الَّا اذا ماتت في قلب الارض . واكثر ما انتشر الدين المسيحيّ في ممالك فيرندو او امنغوشي وبنغو حتَّى ضاق ذرع الحصدة بعد حين واحتاجوا الى استدعاء عمَلة آخرين لمساعدتهم في هذا المشروع الواسع . فعمد فرنسيس على استنهاض همم اخوته في الهند واوربَّة وترك لحين اعمال الرسالة في ايدي رفقته فرجع الى الهند ومعهُ بعض الاحداث اليابانيين ليخرّجهم في مدرسة غوا

فلمَّا وصل الى ملقة في ٢ شباط من السنة ١٥٥٢ اخذ يهتمّ بامر الدعوة اليابانيَّة ليعزّزها برجال محنَّكين ذوي فضل وعلم معًا . ثمَّ استفحص عن احوال الرسالات التي سبق فأنشأها في جهات الهند فدبَّر امورها ووسَّع نطاقها . واذ رأى فرصةً حسنة لزرع الدين الحقّ في بلاد الصين انتهزها للحال وفي نيَّتهِ ان يبشّر هناك بالمسيح ويعود ثانيةً الى اليابان فتفتح امامهُ قلوب كلّ اهلها لتقتهم بتمدُّن الصينيين وتقيّهم لآثارهم

فركب السفينة وسار الى مملكة ابن السماء لكنَّهُ قاسى من اهوال البحر ما يصعب وصفهُ ونالهُ فوق ذلك من احد عمَّال الملك نكبات أَلمَّت بهِ فكادت تطحنهُ بكلكلها لولا ثقةٌ باللهِ كانت في قلبهِ لا تهدُّها العظائم ولا تضعضعها النوائب . فوصل الى جزيرة سانسيان التي بازاء الصين فريدًا شريدًا فنزلها وقصدهُ ان يزايلها قريبًا ليدخل تلك الاقطار المقفلة ابوابها امام كلّ الاجانب لا يتجاوزها غريب الَّا خاطر بنفسهِ وتعرَّض للموت . وبينما كان القديس يعدّ كلّ شيء لهذا السفر اذ اوقف الله عبدهُ في سيرهِ كما اوقف موسى بازاء ارض الميعاد فدعاهُ الى الجزاء الاخير في مقرّ الابرار وكانت وفاتهُ في ٢ كانون الاوَّل من السنة ١٥٥٢

*

هذه لمعةٌ غاية في الايجاز من ترجمة فرنسيس كسفاريوس لكنَّنا لم نذكر فيها شيئًا عن الاسباب التي توسَّل بها ليأتي تلك الاعمال الخطيرة التي خلَّدت اسمهُ في العالمين . وما يقال بالاجمال انَّ تلك الرسائل لم تكن وسائل بشريَّة لأنها قاصرة عن مثل هذه المشروعات . وانَّنا نعلم انَّ كسفاريوس كان طبع في قلبهِ قول الرسول (فل ٤ : ١٣) « اني لستطيع كلَّ شيء في الذي يقوّيني » . فمن الله كانت تصدر قوَّتهُ العجيبة لأنَّهُ عليهِ وحدهُ القى بمقاليدهِ واستمدَّ من فيض بحرهِ ولذلك كان لا ينقطع عن الصلاة

لمناجيهُ تعالى في ضروريّاتهِ ويستعين بهِ في كلّ حاجاتهِ فكان لا يزال يقرع باب رحمتهِ حتى يفوز بطلبتهِ

وكان الله لا يخيب عبدهُ في شيء بل كثيرًا ما كان يتجلّى لهُ في صلاتهِ ويجذبهُ عن الحواسّ فيفعم قلبهُ بهجةً وسرورًا حتى سُمع غير مرّة وهو يصرخ الى ربّهِ : «اللهمّ كفاني لا تردني فرحًا فحسبي نعمتك » وكان على خلاف ذلك اذا اراهُ الله ما ينتظرهُ من الشدائد ويصيبهُ من الملمّات يهتف قائلًا : « زدْ يا رب زد من هذه ما تشاء من اجل اسمك » . والحقُّ يقال انَّ فرنسيس تقبّل من يدهِ تعالى بطيب القلب كلّ ما مسّهُ من الآلام ونزل بهِ من النوازل بل كان يزيد عليها من تلقاء ذاتهِ ما يصاب حواسّهُ مع المسيح المصلوب فيتمنطق بالسلاسل الحديديّة ويجلد جسدهُ البارّ بالجالد ويضنكهُ بالاصوام والتقشّفات الى ان اضحى في يد خالقهِ اطوع من الآلة في يد العامل بها فاعلن بهِ مجد اسمهِ في نيّف وخمسين مملكة هدى الى المسيح اكثر من مليون من اهلها مع عددٍ من ملوكها

وأيّدهُ الله بالمعجزات التي منحها رسل المسيح انفسهم فاظهر من الآيات المتعدّدة ما لا يكاد يصدّقهُ العقل لولا الوف من الشهود الموثوق بهم رووها كما عاينوها واثبتوا اقوالهم بالاقسام المغلّظة امام المستنطقين الذين نشدوهم الله على صحّة روايتهم

فمن ذلك عدد لا يُحصى من المرضى والمزمنين كان يشفيهم القديس باشارة الصليب او يلمسهم بماسّة يديهِ بل كان الموت عينهُ طوع امرهِ فانهُ اعاد الى الحياة اكثر من عشرة اموات في ملقة وفي رأس قرين وفي مدينة تراڤكور وفي جهات سيلان وفي كاغوكيا بينهم اطفال وشبّان وكهول وكان بعضهم قد أُودعوا اللحد من يومين واكثر . فانهُ اذ كان في مدينة «كولان» يخطب الى قوم من الوثنيين وهم لا يصغون الى كلامهِ عرض عليهم ان يفتح لهم قبر احد موتاهم فيحييهُ ويجعلهُ آيةً على صحّة قولهِ . فلمّا فُتح القبر صلّى الى الله ساعةً وانتهر الميت الذي كانت تنبعث منهُ روائح النتن ليقوم ويثبت لمواطنيهِ الدين القويم فقام على عيانهم وشهد على ذلك فتنصّر كلّ اهل كولان

ومن معجزاتهِ انَّهُ كان يأمر العناصر فتذعن لهُ دون تردّد فانّهُ مرارًا عديدة سكّن على بغتة انواء البحر ونجّى السُّفن من الغرق . وفي اولات انزل من السماء مطرًا جودًا نجا بهِ الاهلون من العطش . وفي ملقة ومنار امر الطاعون فزال بامرهِ المرتان .

وفي بحر الصين لمَّا نفد الماء الشروب من سفينته بارك ماء البحر فجعلهُ عذباً وشرب منهُ أيَّاماً وكذَّب السفينة الذين كان بينهم اناس من اديان مختلفة فارتدُّوا بذلك الى النصرانيَّة . وفي ساندسيان امر النسورة التي كانت تميث بها بان لا تعود الى الفساد فلم يعد السكان يرون لها اثرًا

وفي سواحل اليابان بارك شباك بعض الصيَّادين فاقتنصت عددًا وافرًا من السمك كما فعل السيد المسيح في بحيرة جنَّاسر . وكثير من هذه الآيات جرت بشفاعته بمبس شيء من حاجاته فكان يرسل مع اولادهِ عصاتهُ او سبحتهُ او صليبهُ فاذا مسَّها المريض برئ . ولمَّا وقع يوماً صليبهُ في البحر دعا الى الله فاتى بهِ حوتٌ الى ساحل « برانورا »

ومن آياتهِ العديدة نبوَّات شتَّى سبق متنبئاً بها فتمَّت في اوانها كما اشار اليها . وربَّما كان يخبر الحضور بامور تحدث في اماكن نازحة فتأتي الأنباء بعد ذلك بأيام او اسابيع مثبتةً لقولهِ . واغرب من هذا انهُ وُجد في مكانين بعيدين في وقت واحد مدَّة ثلاثة أيام فانَّهُ في عودتهِ من اليابان تاه في البحر لقوَّة الانواء قاربٌ فيهِ خمسة عشر راكباً كان يتبع سفينتهُ وهو في السفينة لكنَّ القارب نجا بعد أيام وأكَّد الرجال انَّ فرنسيس كان بينهم يدبِّر القارب ولولاهُ لهلكوا لا محالة

ومن آياتهِ ايضاً انَّهُ كان اذا خطب في اخلاط من الناس يتكلمون بلغات متباينة يفهمهُ الكلّ ويظنّ كلّ واحد انهُ يتكلَّم بلغتهِ الخاصَّة . وفي اليابان كان الحضور يلقون عليهِ اسئلة شتَّى في امور دينيَّة مختلفة فيجيب عليها جميعاً في وقت واحد كانهُ يجيب على كلّ واحد فردًا فردًا فيرضى كلهم بجوابهِ

وهذه الآيات وغيرها كثيرة جرت بشفاعتهِ بعد موتهِ منها حفظُ جسد فرنسيس من الفساد بعد موتهِ وكان البرتغاليُّون رفقتهُ على وشك السفر لمَّا مات ولم يشاؤوا ان يعودوا الى الهند دون جثتهِ واذ خافوا من انحلالها وضعوها في الكلس قبل السفر ليفنى بهِ اللحم وتبقى العظام وحدها . لكنَّهم وجدوا بعد اشهر الجثَّة سليمة واللحم طريًّا فنقلوها الى الهند وما بلغوا مدينة ملقة وانزلوا الجثَّة الى البرّ حتى كفَّ الطاعون الذي كان ينتك في المدينة فتكًا ذريعًا . ثمَّ نُقلت الجثَّة الى مدينة غوا حيث تُرى اليوم بعد ٣٥٤ سنةً كما كانت عند وفاة القديس

وأُقيم هناك لذكرهِ مشهد جميل (انظر صورتهُ ص ١١٢٠) شُيِّد فوق قبرهِ .

وهذا القبر يُفتح كل خمس سنوات امام ألوف من الزوّار وعدد عديد من الاساقفة والكهنة فتجري بفتحه احتفالات شائقة وعجائب كثيرة تشهد على قدرة صاحبه عند الله. وهذه الآيات قد تحقّقها الكرسيّ الرسولي بالفحص المدقّق ثمّ نظم مُجترحها في عداد القديسين.

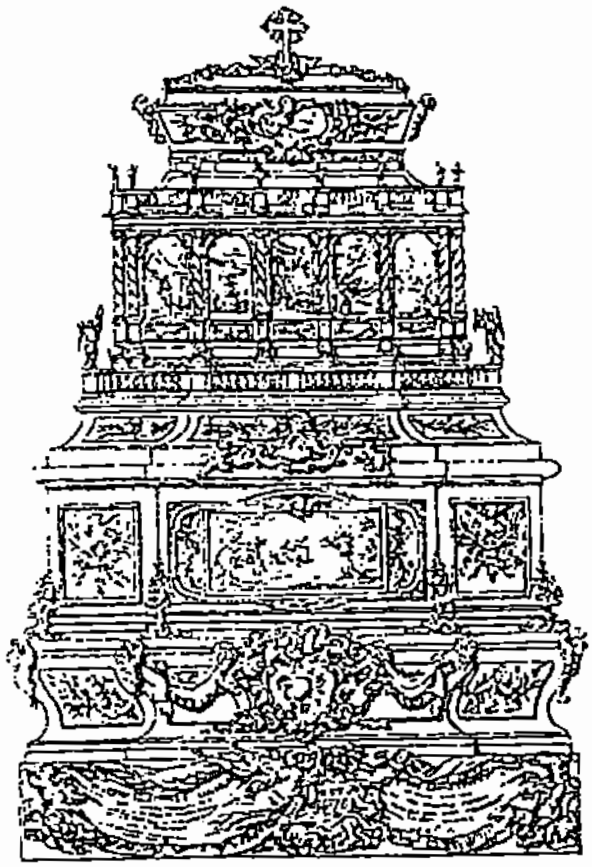

قبر القديس فرنسيس في غوا

ومما يزيد القديس فرنسيس كسفاريوس فخرًا ان ذكره الصالح كان باعثًا لاعمال ومشروعات عظيمة عاد الفضل فيها اليه اذ كان قدوةً لغيره واسوةً لمن انتسى به ونورًا لمن استضاء به

فمن هذه المشروعات النهضة الجديدة التي حدثت في الكنيسة منذ ثلاثة قرون للتبشير بالدين في البلاد النائية. فانك لا تكاد اليوم تجد بلدًا حتى في اقاصي المعمور ألّا فيه عدد من المرسلين ينشرون التعاليم الخلاصيّة بين اهله بالتعليم والوعظ والتأليف. ولذلك قد اتّخذت الكنيسة رسول الهند واليابان كشفيع رسالاتها السحيقة يكرّمهُ جميع المرسلين كامامهم وقدوتهم

وقد اشتهرت بين الجمعيّات التي أُنشئت بعد فرنسيس جمعيّة الرسالات الاجنبيّة احدثها الاب اسكندر دي رود اليسوعيّ في القرن السابع عشر فاثارت عددًا عديدًا

من البلاد بضياء الدين ولا يزال حتى اليوم اعتناؤها يعتبرون فرنسيس كشفيهم الخاص ويتأثرون اعتابهُ

ومن المشروعات التي نهض بها الكاثوليك اقتداء بفرنسيس كسفاريوس شركة انتشار الايمان ينتظم فيها المؤمنون فيساعدون ببعض حسنات طفيفة على توسيع اعمال الرسالات فيربحون بذلك اجرًا عظيماً عند الله بخلاص الشعوب المتكمة في ظلال الموت. وهذه الجمعيَّة تحت شفاعة فرنسيس لا تزال تتَّسع في اعمالها التقويَّة ومجمل ما تجمعهُ في السنة ينيف على سبعة ملايين من الفرنكات تُنفق في الرسالات الكاثوليكيَّة

ومنها ايضاً المدارس الرسوليَّة التي انشأها الاب دي فورستا اليسوعي لتهذيب الاحداث المخصصين لتوسهم لخدمة الامم الغريبة في الرهبانيَّات والجمعيَّات الرسوليَّة. وهذه المدارس تكرّم فرنسيس كشفيها الخاص وتسعى في اقتداء فضائله. ولم يُحرَم والحمد لله بشرقنا العزيز من فضل كسفاريوس فانَّهُ ليس فقط زرع فيهِ بذور الايمان بل بقيت فيهِ روحهُ من بعدهِ بما نشأ فيهِ من الاعمال الرسوليَّة الانة لخير النفوس منها المدرسة التي انشأها في غوا كما سبق ومدارس أخرى حذت حذوها في اليابان والصين. ولمَّا تمدَّت عليها صروف الزمان انتشت في القرن الاخير وازهرت في جهات شتَّى. فمنها ما يُرى اليوم في الهند كمدرسة القديس فرنسيس كسفاريوس في بمباي يبلغ طلبتها ١٥٠٠ طالب. وكالمدرسة الاكليريكيَّة التي انشأها الحبر الاعظم في سيلان تحت ادارة الآباء اليسوعيين وكمدرسة شانغاي للصينيين. وهاءنذا قد اخبرتنا الجرائد الاخيرة بأمر قداسة الحبر الاعظم للآباء اليسوعيين ان يفتحوا في توكيو مدرسةً كليَّة

اما بلادنا هذه فانَّها ايضاً وفَّرت مدارسها الاكليريكيَّة لنشر الدين بين الكنائس الشرقيَّة. نخصُّ منها بالذكر مدرسة كليَّتنا الاكليريكيَّة التي تلوذ بشفاعة القديس فرنسيس كسفاريوس أُنشئت منذ ٦٠ سنة في غزير ثمَّ نُقلت الى بيروت وهي اليوم قسم صالح من كليَّة القديس يوسف. وغاية هذه المدرسة تعزيز الروح الديني في كنائس الشرق ودعوة المنفصلين عنها الى وحدة الايمان. ولعمري انَّ هذه الغرسة الطيِّبة نمت وزكت وهي اليوم دوحة تظلّل بأفنانها بلاداً متعدّدة. فانَّ منها خرج ثلاثة بطاركة وخمسة عشر اسقفاً و٣٠٠ كاهن خدموا طوائفهم بغيرة يشهد لها الجميع. ومنهم من انضمَّ الى الرهبانيَّات فخدم مواطنيهِ في سلكها. وقد عددنا التآليف التي وضعها

المتخرّجون في هذه المدرسة فاذا هي تنيف على ٥٠٠ كتاب في كلّ العلوم الدينيّة والاديبيّة فلا زال هذا معهد الصلاح في ترقٍّ ونموّ لمجد الله ولصالح الكنيسة . وفي الختام نرفع اكفّ الدعاء الى الله شاكرين نضلهُ اذ اقام في كنيستهِ عبدهُ فرنسيس هذا الرسول العظيم الذي هو وحدهُ بمنزلة شهادة جليلة باهرة على حقيقة الانجيل المقدّس وعلى صحّة ايمان الكنيسة الكاثوليكيّة حتّى انّ احد معاصريهِ من البروتستانت كتب في حقّهِ : « يا ليتك كنتَ منّا وانتَ انت »

رحلتي الى الشوا

او من هرر الى اديس أبابا عن طريق التشرشر

للصيدلي القانوني عبدالله افندي ميخائيل رعد (تتمّة)

عن معسكر شونكورا — الاحد ٣ حزيران سنة ١٩٠٦

بقينا اليوم في معسكرنا راحةً لنا واجابةً لطلب المكارين فان دوابّهم قد ضنكت من اجتيازها الصحراء والبلاد الحارّة التي تليها ولعدم مرعاها للعشب الاخضر في كل هذه الرحلة . ولم نأتِ عملًا ولا رأينا شيئًا يستحقّ الذكر بتجوالنا في هذه الارض لان الجهة كلها سهل بلا اشجار وهي مقسّمة حقولًا بعضها محروث ولم يُزرَع وبعضها قد نبت فيها الزرع وقد قضينا سحابة نهارنا في المضارب فتلهّينا بالقراءة واستحممنا في النهر بعد الظهر

*

عن مضرب تشافّه دونتا — الاثنين ٤ حزيران

(المرحلة ٢٢) اصبحنا اليوم في شونكورا فكان القرّ شديدًا وقيل لنا ان في اكثر ايام السنة يجمد سطح الماء في هذا المحل عند الصباح ولكننا لم نرَ ذلك باعيننا اليوم ولا امس . فسرنا مرحلتنا كلها في ارض سهلة والسهول كذلك تمتدّ حولنا على حدّ البصر الّا بعض الاكمات القليلة العلوّ . وهذا السهل مجملهُ حقول محروثة وبهِ مع ذلك كثير من الحقول المهملة نابتٌ فيها العشب للمرعى لا غير . وقد اعترضتنا في